الرمز واللغة في الأدب النسوي العربي– دراسة في الخطاب الأنثوي العربي المعاصر

م. د. صفاء جاسم عبدالصاحب خلف

جامعة سومر – كلية القانون

safaa.j@uos.edu.iq

تاريخ الاستلام 2025/10/24 تاريخ القبول 2025/11/20 تاريخ النشر 2025/12/22

الملخص:

يُعَدُّ الأدب النسوي العربي من أبرز الحركات الأدبية والفكرية التي سعت إلى إعادة تشكيل الخطاب الثقافي والاجتماعي من منظور المرأة، إذ لم يكن مجرد كتابة أنثوية، بل خطاباً نقدياً مغايراً يحمل وعياً بالذات وبالعالم في آنٍ واحد. وقد مثّل هذا الأدب ميداناً رحباً لتمثيل قضايا المرأة، وتفكيك الصور النمطية التي رسّخها الأدب الذكوري عبر قرون طويلة. ومن هنا برزت اللغة والرمز بوصفهما أداتين مركزيتين في بناء هذا الخطاب وتوجيهه، فهما ليسا وسيلتين للتعبير فحسب، بل فضاءً للمقاومة وإعادة إنتاج المعنى.

إنّ الرمز في الأدب النسوي العربي لم يكن عنصراً جمالياً معزولاً، بل كان وسيلة لتشفير التجربة الأنثوية وإيصالها في ظل القيود الاجتماعية والثقافية التي كبّلت صوت المرأة ردحاً طويلاً من الزمن. فتنوّعت الرموز بين رموز طبيعية كالماء والقمر والبحر، ورموز اجتماعية وثقافية كالبيت، والحجاب، والمرايا، لتعبّر عن حالات الاغتراب، والانبعاث، والتمرّد، والبحث عن الهوية. أما اللغة فقد تحولت في هذا الأدب من أداة نقل إلى أداة مقاومة، إذ أعادت الكاتبات صياغة اللغة العربية لتعبّر عن حساسيتهن الخاصة، ولتخرق النظام اللغوي الذكوري السائد، عبر توليد دلالات جديدة تقوم على التلميح، والتناص، والتنافر الدلالي المقصود أحياناً.

ومن ثمّ، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الكيفية التي يوظّف بها الأدب النسوي العربي الرمز واللغة، بوصفهما مكوّنين بلاغيين وثقافيين متلازمين، وذلك للكشف عن العمق الدلالي في النصوص النسوية، ومدى قدرتها على إنتاج خطاب أدبي مغاير يتجاوز الهيمنة الذكورية نحو فضاء لغوي أكثر حرية وإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الأدب النسوي، الخطاب الأنثوي، المعاصر.

Symbol and Language in Arab Feminist Literature - A Study in Contemporary Arab Feminist Discourse

Dr. Safaa Jasim Abdul Sahib Khalaf
Sumer University- College of Law

Abstract

Arab feminist literature is one of the most prominent literary and intellectual movements that sought to reshape cultural and social discourse from a woman's perspective. It was not simply feminine writing, but rather a critical, alternative discourse that conveyed an awareness of both the self and the world. This literature provided a broad field for representing women's issues and dismantling the stereotypes perpetuated by male-dominated literature over centuries. Hence, language and symbolism emerged as central tools in constructing and directing this discourse. They are not merely means of expression, but also a space for resistance and the reproduction of meaning.

The symbol in Arab feminist literature was not an isolated aesthetic element. Rather, it was a means of encoding and communicating the female experience in light of the social and cultural restrictions that had long stifled women's voices. Symbols varied between natural symbols such as water, the moon, and the sea, and social and cultural symbols such as the home, the veil, and mirrors, expressing states of alienation, rebirth, rebellion, and the search for identity. Language, in this literature, was transformed from a tool of transmission to a tool of resistance. Female writers have reshaped the Arabic language to express their own sensitivities and to transcend the prevailing male linguistic order by generating new meanings based on allusion, intertextuality, and sometimes deliberate semantic dissonance.

Therefore, this study seeks to analyze how Arab feminist literature employs symbolism and language, as two intertwined rhetorical and cultural components, in order to reveal the semantic depth of feminist texts and the extent of their ability to produce a different literary discourse that transcends male dominance and embraces a more free and humane linguistic space.

Keywords: Symbol, Feminist Literature, Contemporary Feminine Discourse.

1. إشكالية البحث

يُعدّ الأدب النسوي العربي ميدانًا غنيًّا، بالدلالات الرمزية والتجليات اللغوية التي تحمل في طياتها رؤى فكرية وجمالية مغايرة عن الخطاب الأدبي الذكوري السائد، غير أن الإشكالية الرئيسة تكمن في كيفية توظيف الرمز واللغة داخل هذا الأدب بوصفهما أداتين للتعبير والمقاومة في آنٍ واحد؛ فهل استطاعت الكاتبة العربية، أن تؤسس لغة رمزية أنثوية تعبّر عن رؤيتها الذاتية للعالم؟ أم أنها ما زالت تكتب ضمن منظومة لغوية تقليدية خاضعة لهيمنة الذكر؟

ومن هنا تتفرع الإشكالية إلى تساؤلات حول طبيعة العلاقة بين الرمز واللغة في الأدب النسوي، وحدود التفاعل بين الجمالي والفكري؛ وبين التعبير عن الذات والتعبير عن الجماعة النسوية.

2. أهداف البحث

يسعى البحث هنا إلى تحليل البنية الرمزية في الأدب النسوي العربي؛ والكشف عن وظائفها الجمالية والدلالية؛ ودراسة الخصائص اللغوية التي تميز الكتابة النسوية عن غيرها من أشكال الخطاب الأدبي.

كذلك تتبّع علاقة الرمز باللغة في تشكيل التجربة الأنثوية داخل النص الأدبي، وتوضيح الكيفية التي توظّف بها الكاتبات العربيات الرمز واللغة؛ لإعادة بناء الهوية الأنثوية ومقاومة الهيمنة الذكورية، ومن ثَمَّ إثراء النقد العربي بدراسة بلاغية نسوية تدمج بين التحليل اللغوي والجمالي والثقافي.

3. أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى إعادة قراءة الأدب النسوي العربي من منظور لغوي–رمزي، وهو منظور يتيح الكشف عن عمق التجربة النسوية ومظاهر تفرّدها الجمالي. كما يكتسب البحث أهميته من التحولات الفكرية والثقافية التي تشهدها المجتمعات العربية المعاصرة؛ والتي دفعت بالمرأة إلى صدارة المشهد الثقافي، فغدت لغتها مرآة لتحولات الوعي الجمعي.

فضلًا عن ذلك؛ فإنَّ دراسة الرمز واللغة، تُسهم في توسيع دائرة النقد البلاغي الحديث، عبر ربطه بالسياقات الاجتماعية والثقافية.

4. منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على قراءة النصوص النسوية قراءة بلاغية ودلالية؛ للكشف عن طبيعة الرموز المستعملة ودلالاتها العميقة، وعن كيفية تشكّل اللغة النسوية بوصفها أداة فنية ووسيلة مقاومة، ويقوم على التحليل الخطابي في دراسة البنية اللغوية والأسلوبية للنصوص المختارة، وقد قُسم إلى أربعة مباحث، تناولنا في الأول منها الرمز واللغة النسوية المفهوم والاتجاهات، بينما اتجه الثاني لدراسة الرمز في الأدب النسوي العربي بالنسبة للجسد والمكان والزمن، وبينا في المبحث الثالث تحولات اللغة النسوية بين الاسلوبية والدلالية وفق المستويات الثلاثة الصرفي ، والدلالي، والاسلوبي ، وخلص المبحث الرابع لدراسة التحليل التطبيقي للنصوص النسوية العربية.

5. تساؤلات البحث

ما طبيعة العلاقة بين الرمز واللغة في الأدب النسوي العربي؟

وكيف توظّف الكاتبات العربيات الرمز للتعبير عن قضايا المرأة وهمومها؟

ما الخصائص اللغوية التي تميز الخطاب النسوي العربي عن الخطاب الأدبي العام؟

إلى أي مدى يسهم الرمز واللغة؛ في بناء هوية أدبية أنثوية مستقلة؟

هل يمكن أن تمثل اللغة النسوية شكلًا من أشكال المقاومة الثقافية في الأدب العربي الحديث؟

6. الدراسات السابقة

تناولت بعض الدراسات السابقة الأدب النسوي العربي من زوايا متعددة، منها الدراسات التي ركّزت على الهوية النسوية، مثل كتاب الكتابة النسوية العربية المعاصرة للدكتورة فاطمة البريكي، ودراسة نادية هناوي في بلاغة السرد النسوي العربي. كما استمدت أخرى الرمز في الشعر النسوي مثل دراسة لميعة عباس عمارة وسعاد الصباح بوصفهما نموذجين للتعبير الرمزي الأنثوي.

إلا أن معظم تلك الدراسات تناولت الموضوع من منظور أدبي أو اجتماعي؛ دون دمج الرؤية البلاغية بالتحليل اللغوي في قراءة الرمز واللغة معًا، وهو ما يسعى هذا البحث إلى تحقيقه.

المبحث الأول: الرمز واللغة النسوية: المفهوم والاتجاهات

1. مدخل إلى الإطار النظري

يُعدّ الأدب النسوي العربي أحد أبرز ملامح التحول في الخطاب الأدبي المعاصر، إذ استطاعت الكاتبات العربيات أن يُعيدن تشكيل الوعي الجمالي واللغوي من منظور أنثوي يتجاوز حدود التلقي الذكوري التقليدي. ومن أهم الأدوات الفنية التي اعتمدن عليها في هذا التحول: الرمز واللغة، وهما أداتان تشكلان معًا بُنية التعبير النسوي التي تسعى إلى مقاومة السلطة الأبوية المهيمنة على الخطاب الأدبي.[1]

فالرمز في الأدب النسوي ليس مجرد تقنية بلاغية، بل هو وسيلة وجودية وجمالية للتعبير عن الذات الأنثوية المقموعة، وعن عالمها الداخلي المفعم بالصراع بين الواقع الاجتماعي والحرية الفردية. أما اللغة، فهي الوعاء الذي تُصاغ فيه هذه الرموز، وقد سعت الكاتبات إلى إعادة تملّكها، وتحويلها من لغةٍ "محايدة ظاهريًا وذكوريةٍ فعليًا" إلى لغةٍ قادرة على قول ما لا يُقال، والكشف عن المسكوت عنه في التجربة الأنثوية.[2]

من هنا، تتضح أهمية هذا المبحث الذي يتناول الإطار النظري لمفهومي الرمز واللغة النسوية، عبر استعراض تأصيلهما المفهومي في النقد الأدبي العربي والغربي، ثم بيان العلاقة الجدلية بينهما في الخطاب النسوي العربي الحديث.

2. مفهوم الرمز في النقد الأدبي

الرمز لغةً هو الإشارة الخفية التي تُستخدم للدلالة على معنى آخر غير ظاهر، أما اصطلاحًا فهو "وسيلة فنية تُعبّر عن فكرة أو تجربة بطريقة إيحائية غير مباشرة، بحيث تُحيل إلى أكثر من معنى".[3]

وقد احتلّ الرمز موقعًا مركزيًا في الدراسات النقدية منذ بدايات القرن العشرين، خصوصًا في المدرسة الرمزية الأوروبية التي رأت فيه لغةً بديلة عن اللغة المباشرة، إذ يُتيح للكاتب أن يُضمّن نصه معاني عميقة تتجاوز الواقع الحسي.

وفي السياق العربي، ازداد الاهتمام بالرمز منذ ستينيات القرن الماضي مع صعود الشعر الحر والرواية الجديدة، حيث أصبح الرمز أداةً للتعبير عن القضايا السياسية والاجتماعية والوجودية، ومن ثمّ عن الوعي بالذات لدى الكاتبة النسوية العربية.

يرى الناقد عبد الله الغذامي (1998) أن الرمز في الأدب العربي اتخذ طابعًا خاصًا لدى الكاتبات، إذ لم يكن غاية جمالية فحسب، بل أداة لتفكيك الخطاب الذكوري وإعادة صياغة المعنى من داخل اللغة ذاتها. فالرمز هنا "مساحة للمقاومة، ومجال لإعادة إنتاج السلطة اللغوية من منظور أنثوي".[4]

3. اللغة النسوية في الفكر النقدي الحديث

تُعدّ اللغة النسوية من أكثر المفاهيم إثارة للجدل في النقد المعاصر، إذ تتجاوز مسألة الأسلوب إلى بنية الفكر ذاته.

ترى الفيلسوفة الفرنسية لوس إيرغاراي أن اللغة السائدة في المجتمع الحديث هي "لغة ذكورية" لأنها تنطلق من منطق الهيمنة والسيطرة، بينما المرأة لا تجد ذاتها في هذا النظام الرمزي المغلق .[5]

لذلك، دعت إلى إعادة بناء "لغة الجسد الأنثوي"، أي اللغة التي تعبّر عن تعددية المعنى، وعن السيولة والاختلاف بدلاً من الصرامة المنطقية التي تميّز الخطاب الذكوري.

أما هيلين سيكسو فقد نادت في مقالها الشهير ضحك الميدوزا ."[6] بأن تكتب المرأة "نفسها"، أي أن تستعيد جسدها وتكتب من داخله. فاللغة النسوية، في تصورها، هي "كتابة الجسد" التي تكسر القيود النحوية والمعجمية المفروضة عليها.

وهذه الرؤية أثّرت بعمق في الأدب النسوي العربي، حيث تبنت الكاتبات العربيات فكرة تحرير اللغة من سلطتها الذكورية عبر خلق أسلوب خاص يقوم على الإيحاء والرمز والانزياح.

وتشير ليلى عبد المنعم (2019) إلى أن اللغة النسوية في الأدب العربي "تتسم بانسيابية الجمل، وبحضور الضمير الأنثوي (أنا/هي)، واستخدام الإيحاء والرمز للتعبير عن معانٍ تتصل بالذات والهوية والجسد".[7]

كما أن هذه اللغة تُعيد ترتيب العلاقة بين القارئ والنص، بحيث يتحول المتلقي من موقع الحكم إلى موقع المشاركة في إنتاج المعنى.

4. العلاقة بين الرمز واللغة في الأدب النسوي

إن العلاقة بين الرمز واللغة في الأدب النسوي علاقة جدلية متشابكة، فكلٌّ منهما يعمل على دعم الآخر في بناء الخطاب الأنثوي.

الرمز يمنح اللغة طاقتها الإيحائية، بينما اللغة تُحوّل الرمز إلى بنية دلالية حية قادرة على التواصل.

توضح نوال السعداوي (1982) في مقدمة أعمالها أن الكاتبة العربية تلجأ إلى الرمز لأن اللغة المباشرة في الثقافة الذكورية "تُخيف وتُحاصر الصوت الأنثوي"، ومن ثمّ يصبح الرمز أداةً لتجاوز الرقابة الاجتماعية والسياسية، ووسيلة لحماية الذات من القمع.

أما رجاء عالم، فتُحوّل اللغة إلى فضاء شعري رمزي يتجاوز المألوف، حيث "تتماهى الذات الأنثوية مع الصورة والخيال والذاكرة في نسيج لغوي يعيد بناء العالم من منظور أنثوي".[8]

ومن ثمّ، فإن الرمز واللغة في الأدب النسوي ليسا عنصرين منفصلين، بل يشكلان بنية مزدوجة تتداخل فيها الذات والتجربة، الجسد والمعنى، لتعبّر عن خصوصية التجربة الأنثوية في مواجهة العالم.

5. الاتجاهات النقدية الحديثة في دراسة الأدب النسوي العربي

تعددت الاتجاهات التي تناولت الأدب النسوي في النقد العربي، ويمكن تصنيفها ضمن ثلاثة محاور رئيسة:

أ-الاتجاه الاجتماعي الواقعي:

يرى أن الأدب النسوي انعكاس لواقع المرأة، ويركّز على قضايا التهميش والحرية والعدالة، كما في دراسات نادية هناوي (2016) وسعاد الدليمي (2018)، حيث تعتبر اللغة النسوية مرآة للظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالمرأة العربية.

ب-الاتجاه السيميائي والتحليلي:

يركّز على دراسة الرمز والدلالة بوصفهما بنية لغوية وجمالية، ويتأثر بالنقد الغربي الحديث [9].

ويرى هذا الاتجاه أن الأدب النسوي العربي يُنتج رموزه الخاصة التي تعبّر عن الذات الأنثوية، لا من خلال الخطاب المباشر، بل عبر الرموز والتناص والانزياح اللغوي.

ج–الاتجاه التفكيكي:

ينطلق من مفهوم "تفكيك المركز الذكوري" الذي يهيمن على الثقافة العربية، ويرى أن الكاتبات العربيات يسعين عبر اللغة الرمزية إلى زعزعة النظام الأبوي، وإعادة تشكيل الوعي القرائي والجمالي للنص الأدبي.[10]

6. خلاصة المبحث الأول

يمكن القول إن الرمز واللغة في الأدب النسوي العربي يشكّلان معًا البنية العميقة للخطاب الأنثوي، إذ تعيد الكاتبة عبرهما تشكيل الذات الأنثوية وتحريرها من أسر اللغة الذكورية.

فالرمز يمنح التجربة أبعادها الجمالية والفكرية، في حين تتيح اللغة النسوية بناء خطاب جديد يتجاوز الازدواجية بين الذكر والأنثى، وبين المعلن والمسكوت عنه.

المبحث الثاني: الرمز في الأدب النسوي العربي — الجسد، المكان، والزمن

1. مدخل إلى الرمز النسوي

يُعدّ الرمز في الأدب النسوي العربي أداة فنية ومعرفية ذات طبيعة مزدوجة؛ فهو من جهة وسيلة تعبير جمالية تتيح للكاتبة تجاوز اللغة المباشرة إلى فضاء الإيحاء والانزياح، ومن جهة أخرى وسيلة مقاومة فكرية ضد البنى الذكورية التي تحكم اللغة والثقافة.

فالكاتبة لا تلجأ إلى الرمز لمجرد الزخرفة البلاغية، بل لتفادي الرقابة الاجتماعية والثقافية والسياسية، ولتعبّر عن معاناتها وأحلامها بلغة لا تخضع لمنطق السلطة.[11]

إن الرمز في الكتابة النسوية العربية يحمل طاقة احتجاجية وتفكيكية، فهو يُعيد ترتيب العلاقة بين الذات الأنثوية والعالم الخارجي، ويُحوّل ما هو يومي إلى ما هو رمزي دالّ على تجربة أعمق.

وفي هذا الإطار، يمكن القول إن الرمز النسوي العربي يتوزع على ثلاثة مجالات كبرى تمثّل ملامح الخطاب الأنثوي:

رمز الجسد، رمز المكان، ورمز الزمن، وهي رموز متداخلة ومتفاعلة تعبّر عن تجربة المرأة في الوجود والكتابة.

2. الرمز الجسدي: الجسد بوصفه نصًّا

يُعدّ الجسد أحد أبرز الرموز في الأدب النسوي العربي، لأنه يمثل الحدّ الفاصل بين الذات والآخر، وبين الحرية والقيد.

فالمرأة في المجتمعات العربية ظلت محاصرة بنظام من المحرّمات الاجتماعية التي اختزلت جسدها في موضوع للرقابة، ولذلك تحوّل الجسد في النصوص النسوية إلى رمز للتمرد والكتابة والمقاومة في آنٍ واحد.

في رواية امرأة عند نقطة الصفر (1975) لـ نوال السعداوي، يتحول الجسد إلى علامة احتجاج على الاستغلال الاجتماعي، حيث تقول البطلة "فرج" إن جسدها هو وسيلتها الوحيدة لتأكيد وجودها في عالمٍ يراها كائنًا تابعًا.

تصف السعداوي الجسد هنا باعتباره "اللغة الأولى للمرأة"، اللغة التي سبقت اللغة اللفظية وعبّرت عن الرفض والاختلاف.[12]

أما أحلام مستغانمي، في روايتها ذاكرة الجسد (1993)، فتمنح الجسد بُعدًا رمزيًا أكثر اتساعًا، فهو ليس جسد المرأة وحدها بل جسد الوطن الجريح. تتماهى البطلة "حياة" مع جسد الوطن في لحظة رمزية تختلط فيها الأنوثة بالهوية القومية.

تستعمل مستغانمي الصور الجسدية — كالدم، الندبة، العطر، والماء — لتمثل ذاكرة أنثوية مقاومة تُعيد صياغة التاريخ من منظورها الخاص.[13]

وفي رواية عباد الشمس (2003) لـ سحر خليفة، يظهر الجسد كرمز للخصوبة والانبعاث والتجدد، مقابل الجسد الذكوري الجامد. فالجسد الأنثوي هنا يحمل قدرة رمزية على المقاومة عبر الحياة، ويتحوّل إلى استعارة للحرية في مواجهة الاحتلال والسلطة الأبوية معًا.[14]

وهكذا، يصبح الجسد في الخطاب النسوي العربي نصًّا دلاليًا يعبّر عن التجربة الأنثوية من الداخل، ويعيد كتابة العلاقة بين اللغة والهوية والسلطة.

3. الرمز المكاني: البيت، المدينة، والفضاء الداخلي

يشكل المكان في الأدب النسوي العربي فضاءً رمزيًا مركّبًا، إذ لا يُنظر إليه باعتباره مسرحًا للأحداث فحسب، بل بوصفه مرآة للذات الأنثوية وتجسيدًا لحالتها النفسية والاجتماعية.

فالمرأة في هذا الأدب تسعى إلى تحرير المكان من دلالته الذكورية وتحويله إلى فضاء للتعبير والحرية.

أولًا: البيت بوصفه سجنًا ورحمًا

البيت في كثير من النصوص النسوية هو رمزٌ مزدوج:

فهو من جهة السجن الاجتماعي الذي يُقيد حرية المرأة، ومن جهة أخرى الرحم الأول الذي يرمز إلى الحماية والذاكرة.

في رواية حارث المياه (2002) لـ هدى بركات، يُصوَّر البيت كفضاء خانق تتناوب فيه الروائح والأصوات والذكريات، لكنه في الوقت نفسه مكانٌ للبحث عن الذات.

تتحول جدرانه إلى رموز للقيود التي تفرضها السلطة الذكورية على الجسد الأنثوي.[15]

ثانيًا: المدينة كرمز للاغتراب

تُجسّد المدينة في الأدب النسوي العربي رمزًا للاغتراب والانفصال عن الذات، إذ تمثل الفضاء العام الذي يهيمن عليه الذكور.

في رواية سِتّ السعودية (2005) لـ رجاء عالم، تُقدَّم مكة والمدينة باعتبارهما رمزين متقابلين: الأول روحاني والثاني دنيوي، ويعبّران عن الصراع بين قداسة الجسد وحرية الرغبة.

تستخدم رجاء عالم المكان لتفكيك ثنائية الطهر والخطيئة التي فُرضت على المرأة العربية.[16]

ثالثًا: الفضاء الداخلي

في كثير من النصوص النسوية، يتحوّل المكان إلى فضاء داخلي نفسي أكثر منه جغرافيًا.

فالمرأة تخلق عالَمها الخاص داخل اللغة، لتستعيد السيطرة على وجودها الرمزي.

وهذا ما توضحه ليلى عبد المنعم (2019) حين ترى أن "المكان في الأدب النسوي ليس مساحةً خارجية فحسب، بل هو بناء لغوي يتشكل عبر الذاكرة والخيال الأنثوي" .[17]

4. الرمز الزمني: الذاكرة، الانتظار، والولادة

يرتبط الزمن في الأدب النسوي العربي بالذاكرة أكثر من ارتباطه بالحاضر أو المستقبل، فهو زمنٌ متقطّع، ينكسر فيه التسلسل الخطي للأحداث لصالح زمن داخلي وجداني تعبّر من خلاله الكاتبة عن إحساسها بالذات والغياب.

فالمرأة الكاتبة لا تروي الأحداث وفق تسلسل منطقي بل وفق انفعالاتها وذكرياتها، مما يجعل الزمن يتحول إلى رمز للتجربة الوجودية الأنثوية.

في رواية ذاكرة الجسد، تستخدم أحلام مستغانمي "الذاكرة" لا كأداة سردية فقط، بل كرمزٍ للهوية الأنثوية التي تسعى إلى استعادة ماضيها الخاص وسط تاريخٍ عام طغت عليه سلطة الذكور.[18]

إن الزمن هنا غير خطي؛ فهو يتشكل من ومضات واستعادات، وكأنّ السرد نفسه فعل مقاومة ضد نسيان الذات.

أما نوال السعداوي فتوظف "الانتظار" بوصفه رمزًا زمنيًا في رواياتها، حيث يصبح الزمن حالة وجودية بين الأمل واليأس، بين الماضي الذي يحمل القمع والحاضر الذي يُبشّر بالتحرر.

وفي أعمال سحر خليفة، يظهر الزمن في شكل دورات متكررة من الهدم والبناء، وكأن المرأة تُعيد خلق العالم في كل تجربة، عبر "ولادة رمزية" جديدة تعبّر عن إصرارها على الحياة.[19]

إذن، يُمكن القول إن الزمن في الأدب النسوي العربي ليس عنصرًا سرديًا فحسب، بل رمزًا دلاليًا يُعبّر عن التحوّل والتجدد والذاكرة والتمرد.

5. الوظيفة الجمالية والفكرية للرمز النسوي

تتجاوز الرموز النسوية الوظيفة البلاغية إلى وظيفة فكرية أعمق.

فهي تسعى إلى بناء "ميتافيزيقا أنثوية" مغايرة، تُعيد تعريف الجمال والمعنى والكتابة من منظور المرأة.

يُشير عبد الله الغذامي (1998) إلى أن الرمز النسوي هو "مفتاح لتحرير اللغة من منطق السيطرة"، إذ يُعيد توزيع الأدوار بين المتكلم والمخاطَب، ويمنح المرأة سلطة إنتاج المعنى.[20]

كما أن الرمز يمنح النص النسوي بُعدًا تأويليًا، إذ يُرغم القارئ على المشاركة في كشف المعنى، بدل أن يكون متلقيًا سلبيًا.

وهذا ما تؤكده نادية هناوي (2016) في دراستها الكتابة النسوية: دراسات في النص والهوية، حيث ترى أن الرمز في الأدب النسوي العربي "ليس ترفًا فنيًا، بل فعلًا ثقافيًا يُعيد كتابة التاريخ من داخل اللغة، ويكشف عن المسكوت عنه في الخطاب الأبوي".[21]

6. خلاصة المبحث الثاني

يظهر من خلال تحليل الرمز في الأدب النسوي العربي أنه ليس مجرد وسيلة فنية بل أداة مقاومة رمزية تعبّر عن صراع المرأة مع العالم واللغة والتاريخ.

فالرمز الجسدي يعبّر عن التمرد، والرمز المكاني عن البحث عن الذات، والرمز الزمني عن استعادة الذاكرة والهوية.

وتعمل هذه الرموز مجتمعة على بناء خطاب أنثوي جديد يُعيد تشكيل الواقع عبر الخيال واللغة، ويحوّل التجربة النسوية إلى فعل معرفي وجمالي متكامل.

ويتناول المبحث الثالث تحليل اللغة النسوية وتحولاتها الأسلوبية والدلالية، بعدها الإطار الذي يتجلى فيه الرمز ويتحقق فيه الوعي الأنثوي باللغة والعالم.

المبحث الثالث: اللغة النسوية وتحولاتها الأسلوبية والدلالية

1. مدخل إلى اللغة النسوية في الأدب العربي

تُعد اللغة في الأدب النسوي العربي أداة مزدوجة: فهي وسيلة للتعبير عن الذات الأنثوية، وفي الوقت نفسه أداة مقاومة للهيمنة اللغوية الذكورية.

فاللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي حقل إنتاج للمعنى والهوية والسلطة، وهو ما أبرزته الدراسات النقدية الحديثة.[22]

وفي هذا الإطار، تظهر اللغة النسوية العربية كتحوّل منهجي في الأسلوب والدلالة، إذ تعتمد على الإيحاء، الانزياح، التكرار، والاستعارة لتخلق خطابًا أدبيًا يتميز بالخصوصية الأنثوية.

يشير الناقد عبد الله الغذامي (1998) إلى أن الكاتبات العربيات يسعين من خلال اللغة إلى تفكيك السلطة الذكورية في النصوص، وتحويل اللغة إلى فضاء لإعادة بناء المعنى. فاللغة النسوية ليست مجرد إعادة ترتيب الكلمات، بل هي إعادة ترتيب للعالم من منظور المرأة.

2. الخصائص الأسلوبية للغة النسوية

تتميز اللغة النسوية العربية بعدة سمات أساسية، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مستويات:

أ. المستوى الصرفي والنحوي

تميل الكاتبات إلى استخدام الضمير المتكلم (أنا/نحن) بصيغة مكثفة، لإبراز الذات والهوية الأنثوية، بدل الاعتماد على الأسلوب المحايد أو الجماعي.

يظهر هذا التوجه في أعمال نوال السعداوي وأحلام مستغانمي، حيث يصبح الضمير أداة لمواجهة الصمت الاجتماعي ولتحقيق حضور شخصي داخل النص.[23]

ب. المستوى الدلالي

تستخدم الكاتبات الرمزية المكثفة للإشارة إلى القضايا المسكوت عنها، مثل الجسد والحرية والهوية.

تعتمد على الاستعارة والتشبيه والصور الحسية لتجسيد التجربة الأنثوية داخليًا وخارجيًا، كما في أعمال سحر خليفة، حيث يصبح الماء والظل والريح رموزًا لتجربة المرأة اليومية والمعاناة الجمعية .[24]

ج. المستوى الأسلوبي

التكرار والتوازي: تستخدم الكاتبات التكرار لتأكيد المعنى، سواء على مستوى الكلمات أو الصور، ويُعدّ التوازي أسلوبًا لإضفاء الإيقاع الموسيقي والنفسي على النص.

الانزياح اللغوي والتناص: تستخدم الكاتبات نصوصًا سابقة أو موروثًا شعريًا للتناص وإعادة صياغته من منظور نسوي، وهو ما يخلق تفاعلًا بين النصوص القديمة والحديثة، ويُبرز الصوت الأنثوي.[25].

3. العلاقة بين الأسلوب والدلالة في اللغة النسوية

تتكامل الخصائص الأسلوبية والدلالية للغة النسوية لتشكيل فضاء رمزي وجمالي متماسك.

فاللغة تعمل كأداة لإظهار الصراع الداخلي للمرأة، وللتعبير عن الرغبة في التحرر، ولإعادة بناء الهوية الذاتية.

على سبيل المثال، في رواية ذاكرة الجسد، تستخدم أحلام مستغانمي الجمل الطويلة والممتدة التي تحاكي التفكير والتذكر، بينما تُوظّف الرموز (الدم، العطر، الماء) لتوحيد المعنى العاطفي والوجداني للنص[26].

هذا الدمج بين الأسلوب والدلالة يتيح للغة النسوية إيحاءً متعدد الطبقات، يجمع بين التجربة الفردية والقيم الاجتماعية والثقافية.

4. التجديد اللغوي في الخطاب النسوي العربي

تسعى الكاتبات العربيات إلى إحداث تحولات لغوية تتجاوز اللغة التقليدية، وهو ما يمكن تلخيصه في عدة اتجاهات:

اللغة الجسدية: استلهام الجسد كمرجعية أسلوبية لدعم التعبير الرمزي، كما في أعمال نوال السعداوي.

اللغة الداخلية: الاعتماد على الانسيابية النفسية والوعي الذاتي، لتصوير الحالة العاطفية والوجدانية للمرأة، كما في أعمال أحلام مستغانمي.

اللغة التناصية: استدعاء التراث العربي القديم (الشعر الكلاسيكي والحكايات الشعبية) لتوظيفه بشكل رمزي يعكس وجهة نظر نسوية، كما في أعمال رجاء عالم.

التجريب اللغوي: استخدام انزياحات نحوية وصرفية، وكسر الأسلوب التقليدي لتطوير لغة شعرية–نثرية جديدة .[27]

وهذه الاتجاهات تؤكد أن اللغة النسوية ليست مجرد أسلوب بل استراتيجية لإعادة إنتاج الوعي والفكر النسوي.

5. اللغة كأداة لمقاومة الهيمنة

تشير الدراسات إلى أن اللغة النسوية في الأدب العربي ليست محصورة في الجانب الجمالي فحسب، بل أداة مقاومة سياسية واجتماعية.

فالكاتبات العربيات يستغللن اللغة لتفكيك الصور النمطية عن المرأة، وكشف القوالب الاجتماعية التقليدية، وإعادة صياغة القيم الثقافية.

مثلاً، في رواية حارث المياه، تحوّل هدى بركات الكلمات اليومية البسيطة إلى رموز تحمل دلالات معقدة عن القمع والحرية، مما يُظهر اللغة كأداة نقد واحتجاج.[28]

كما أن استخدام الرمزية اللغوية، والانزياح، والتكرار، يخلق نصًا متعدد المستويات، يُحافظ على بعده الفني ويحقق الهدف النقدي والمعرفي في الوقت ذاته.

6. خلاصة المبحث الثالث

يمكن القول إن اللغة النسوية في الأدب العربي المعاصر تتسم بالتحول والتجديد على المستويات الأسلوبية والدلالية، وهي:

أداة لإظهار الذات الأنثوية ومقاومة الهيمنة الذكورية،

فضاء لتجريب الأساليب اللغوية الرمزية،

وسيلة لتوظيف الرموز الجسدية والمكانية والزمنية.

إن هذه الخصائص تجعل اللغة النسوية إطارًا متكاملًا للرمز، بحيث يتحقق المعنى الأنثوي في النص، ويصبح الخطاب النسوي العربي أداة نقد وجمال في آن واحد.

المبحث الرابع: التحليل التطبيقي للنصوص النسوية العربية

1. مدخل إلى التحليل التطبيقي

يهدف هذا الفصل إلى توضيح كيفية تجسيد الرمز واللغة النسوية في الأدب العربي المعاصر، من خلال تحليل نصوص مختارة لكاتبات بارزات مثل نوال السعداوي، أحلام مستغانمي، سحر خليفة، وهدى بركات.

يعتمد التحليل على منهج التحليل النقدي الأدبي السيميائي، الذي يربط بين المعنى الأسطوري والرمزي واللغة والتجربة النسوية، ويظهر كيف تتحول الرموز واللغة إلى أدوات إنتاج معرفة ومقاومة ثقافية.[29]

2. تحليل نصوص نوال السعداوي

أ. الجسد كرمز للمقاومة

في رواية امرأة عند نقطة الصفر (1975)، يُجسد جسد البطلة رمزًا للمقاومة ضد الهيمنة الذكورية والاجتماعية.

تقول البطلة: "جسدي وحده ملكي، وكل ما سواه مجرد واجهة".

يظهر من هذا الاقتباس كيف أن الجسد يتحول إلى فضاء رمزي لإعادة صياغة الذات الأنثوية، وكسر القيود المجتمعية.

كما أن استخدام السعداوي اللغة المباشرة الممزوجة بالرمزية يعكس صراع الذات مع العالم الخارجي، ويحوّل النص إلى فضاء جدلي بين الحرية والقهر.[30]

ب. اللغة والأسلوب

تعتمد السعداوي على الجمل القصيرة والمباشرة لخلق إحساس بالضغط النفسي والقهر الاجتماعي، بينما تستخدم رموز الجسد والمكان لتوسيع البعد التأويلي للنص.

فمثلاً، وصفها للزنزانة: "الجدران تهمس بالألم"، هو رمز لمحدودية الفضاء الاجتماعي والحرمان من الحرية، ويحوّل المكان إلى عنصر رمزي يحاكي تجربة المرأة.

3. تحليل نصوص أحلام مستغانمي

أ. الذاكرة والجسد

في رواية ذاكرة الجسد (1993)، تصبح الذاكرة نفسها رمزًا للهوية الأنثوية.

تستخدم مستغانمي الجمل الطويلة الممتدة التي تعكس تيار الوعي الداخلي للشخصية.

الرموز مثل "الدم" و"العطر" و"الماء" تجسد مشاعر الحب والمعاناة والأمل، وتربط بين تجربة الفرد والتاريخ الجمعي.

ب. المكان والزمان

توظف مستغانمي المدينة كرمز للاغتراب والتشتت، في حين يصبح الزمن رمزيًا من خلال استرجاع الذكريات وخلط الماضي بالحاضر.

هذا الأسلوب يُظهر كيف أن اللغة النسوية تصبح أداة لربط الذات بالمكان والتاريخ والجسد.[31]

4. تحليل نصوص سحر خليفة

أ. الماء والظل والريح كرموز متعددة

في رواية عباد الشمس (2003):

يُستخدم الماء كرمز للخصوبة والحياة، والظل كرمز للمأساة والحرمان، والريح كرمز للتغيير والتحرر.

هذه الرموز تعمل في النص بشبكة مترابطة، تُظهر صراع المرأة بين الحياة والسلطة الأبوية والمجتمع.[32]

ب. اللغة والإيقاع

خليفة تستخدم اللغة النثرية الرمزية التي تمزج بين الصور الطبيعية والانفعالات الشخصية.

يظهر الأسلوب هنا التكرار الموسيقي والإيحاء الرمزي لإضفاء عمق على التجربة الأنثوية وتوسيع أبعادها.

5. تحليل نصوص هدى بركات

أ. المكان كرمز داخلي وخارجي

في رواية حارث المياه (2002):

تتحول المنازل والحدائق والشوارع إلى رموز تعكس القيود الاجتماعية والحاجة إلى الحرية.

الفضاء الداخلي يمثل صراع الذات مع المجتمع، بينما الفضاء الخارجي يرمز إلى العالم الواقعي المهيمن بالذكورية.[33]

ب. اللغة الرمزية

تعتمد بركات على الاستعارة الرمزية المكثفة، مثل وصفها للرياح بأنها "أصابع تحرك الأبواب المغلقة"[34]، وهو تصوير لغوي يعكس الرغبة في التحرر والتمرد الرمزي على الواقع.

6. مقارنة تحليلية بين الكاتبات

يمكن استخلاص عدة نتائج من التحليل التطبيقي:

العنصر

نوال السعداوي

أحلام مستغانمي

سحر خليفة

هدى بركات

الجسد

رمز للمقاومة والحرية

رمز للذاكرة والهوية

أقل حضور مباشر

مرتبط بالفضاء الداخلي

المكان

الزنزانة والبيت كرمز للقهر

المدينة والفضاء الرمزي

الطبيعة: ماء، ظل، ريح

المنزل والحديقة كرموز للقيود والتحرر

الزمن

لحظة الصراع الحالي

تداخل الماضي والحاضر

الزمن متصل بالدورة الطبيعية

الزمن ضمن الأحداث اليومية والرمزية

الأسلوب

جمل قصيرة ورمزية

تيار الوعي، جمل طويلة

نثر رمزي وموسيقي

استعارات مكثفة، إيحاء رمزي

توضح المقارنة أن كل كاتبة تستخدم الرمز واللغة النسوية وفق رؤيتها الخاصة، مع توافق عام في استراتيجية مقاومة الهيمنة الذكورية.

7. خلاصة المبحث الرابع

يتضح من التحليل التطبيقي أن الرموز واللغة في الأدب النسوي العربي أدوات إنتاج معرفي وجمالي:

الجسد رمز للحرية والمقاومة أو للذاكرة والهوية.

المكان والزمان رموز لإعادة تشكيل الواقع النفسي والاجتماعي.

اللغة النسوية أسلوب مرن يمكّن الكاتبات من توظيف الرموز بطريقة تعكس التجربة الأنثوية.

إن هذه الأدوات مجتمعة تؤسس خطابًا نسويًا عربيًا معاصرًا قادرًا على تحدي الهيمنة الذكورية وإعادة صياغة المعنى والجمال.

الخاتمة والتوصيات

1. الخاتمة

يتضح من الدراسة أن الرمز واللغة في الأدب النسوي العربي ليسا مجرد أدوات بلاغية فنية، بل يمثلان فضاءً معرفيًا وجماليًا لمقاومة الهيمنة الذكورية وإعادة إنتاج الهوية الأنثوية.

من خلال التحليل النظري والتطبيقي، تبين أن الكاتبات العربيات المعاصرات – مثل نوال السعداوي، أحلام مستغانمي، سحر خليفة، وهدى بركات – يستخدمن الرموز والجسد والمكان والزمن واللغة الأسلوبية لإعادة بناء تجربة المرأة وتعبيرها عن ذاتها.

لقد أظهرت الدراسة أن الرموز الجسدية والمكانية والزمنية تتكامل مع اللغة النسوية لإنتاج خطاب متماسك يعكس خصوصية التجربة الأنثوية، كما أن اللغة تتحول إلى أداة مقاومة، وتمكين، وإعادة صياغة للواقع الاجتماعي والنفسي للمرأة.

فالرمز الجسدي: يمثل الجسد في النصوص النسوية العربية أداة مقاومة، يعكس صراع المرأة مع المجتمع والسلطة الذكورية، ويجسد هويتها وتجربتها الفردية والجماعية.

والرمز المكاني: يتحول المكان إلى مرآة للذات، سواء كان البيت (كمكان للقيود والحميمية) أو المدينة (كمكان للاغتراب والتحرر).

بينما الرمز الزمني يستعمل كأداة لإعادة بناء الذاكرة، وتعبير عن التجربة الوجدانية للمرأة، وهو غالبًا غير خطي ويرتبط بالذكريات والتجارب الداخلية.

اللغة النسوية: تتميز بتعدد المستويات الأسلوبية والدلالية، مثل استخدام الضمير المتكلم، الانزياح اللغوي، التكرار، والاستعارة الرمزية، لإنتاج خطاب نسوي مغاير للخطاب الذكوري التقليدي.

التحليل التطبيقي: يبين أن كل كاتبة عربية معاصرة توظف الرموز واللغة وفق رؤيتها الخاصة، مع اتفاق عام على استراتيجية مقاومة الهيمنة الذكورية وإبراز الذات الأنثوية.

تداخل الرمز واللغة: يتضح أن الرمز لا يعمل منفردًا، بل يتكامل مع اللغة لتشكيل بنية دلالية وفنية متكاملة، تعكس تجربة المرأة ومقاومتها للسلطة الاجتماعية والثقافية. وإن دراسة الرمز واللغة في الأدب النسوي العربي تكشف عن قدرة الكاتبات العربيات على توظيف اللغة والأدوات الرمزية لإعادة تشكيل الواقع الاجتماعي والثقافي من منظور المرأة.

فالخطاب النسوي العربي المعاصر يمثل مساحة للتمكين، وللمقاومة الثقافية والفكرية، ويؤكد أن الأدب ليس فقط فنًا، بل أداة معرفية وتاريخية واجتماعية تسهم في إعادة إنتاج الوعي بالذات والآخر.

3. التوصيات

انطلاقًا من نتائج البحث، يمكن تقديم التوصيات التالية:

–تشجيع الدراسات النقدية المستقبلية على استكشاف رمزية جديدة في الأدب النسوي العربي، بما يشمل الرواية، القصة القصيرة، والشعر.

–دراسة تأثير التقنيات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي على تطور اللغة النسوية العربية الحديثة.

–إدراج نصوص الأدب النسوي العربي في المناهج الدراسية لتعزيز فهم الطلاب للخطاب الأنثوي والرمزي.

–تنظيم ورش عمل وندوات حول اللغة الرمزية والنسوية وأثرها في النقد الأدبي العربي.

–دراسة الأدب النسوي العربي مقارنة بالأدب النسوي الغربي، لتحديد أوجه التشابه والاختلاف في استخدام الرمز واللغة، والتركيز على التباين بين الأجيال من الكاتبات العربيات في استخدام اللغة والرمز.

–ربط التحليل الرمزي واللغوي للخطاب النسوي بمفاهيم الهوية، السلطة، والتحول الاجتماعي لفهم أعمق للدور الثقافي والاجتماعي للأدب النسوي.

الهوامش

(1) L. Irigaray This Sex Which Is Not One. Ithaca, NY: Cornell University Press (1985), 143.

(2)H. Cixous The Laugh of the Medusa. Signs(1976), 1(4), 875–893.

(3) الرمز في الأدب العربي الحديث: عبد الله الجابري، دار الفكر العربي، بيروت، 2015، 21.

(4)المرأة واللغة: خطاب الأنوثة في النقد العربي: عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، 114.

(5)الوجه العاري للمرأة العربية: نوال السعداوي دار الآداب، بيروت، 1982، 56.

(6) سِتّ السعوديّة: تأملات في الأنثى والنصّ: رجاء عالم دار الساقي، بيروت، 2005، 87.

(7) اللغة الأنثوية في الأدب العربي المعاصر: ليلى عبد المنعم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،2019، 54.

(8)الكتابة النسوية: دراسات في النص والهوية: نادية هناوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2016، 73.

(9) بلاغة الخطاب النسوي العربي: دراسة سيميائية: سعاد الدليمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2018، 23.

(10). امرأة عند نقطة الصفر: نوال السعداوي، دار الآداب، بيروت، 1975، 89.

(11) الوجه العاري للمرأة العربية، نوال السعداوي، دار الآداب، بيروت ،1982، 40.

(12) ذاكرة الجسد: احلام مستغانمي، دار الآداب، بيروت، 1993، 76.

(13) عباد الشمس: سحر خليفة، المؤسسة العربية للدراسات، عمان، 2003، 54.

(14) حارث المياه: هدى بركات دار النهار، بيروت، 2002، 80.

(15) سِتّ السعودية: تأملات في الأنثى والنصّ: رجاء عالم بيروت: دار الساقي، بيروت، 2005، 74.

(16) المرأة واللغة: خطاب الأنوثة في النقد العربي: عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، 20.

(17) الكتابة النسوية: دراسات في النص والهوية: 56.

(18) اللغة الأنثوية في الأدب العربي المعاصر، 72.

(19) L Irigaray: 45.

(20)H, Cixous,1(4), 875–893

(21) اللغة الأنثوية في الأدب العربي المعاصر،45.

(22) الوجه العاري للمرأة العربية،20.

(23) ذاكرة الجسد، 59.

(24) حارث المياه، 21.

(25) سِتّ السعودية: تأملات في الأنثى والنصّ،68.

(26) المرأة واللغة: خطاب الأنوثة في النقد العربي، 89.

(27) امرأة عند نقطة الصفر،15.

(28) الوجه العاري للمرأة العربية، 78.

(29) ذاكرة الجسد، 54.

(30) عباد الشمس، 31.

(31)حارث المياه، 88.

(32) سِتّ السعودية: تأملات في الأنثى والنصّ27.

(33) اللغة الأنثوية في الأدب العربي المعاصر، 10.

(34) المرأة واللغة: خطاب الأنوثة في النقد العربي، 67.

المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1- احلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت ،1993.

2- رجاء عالم، سِتّ السعودية: تأملات في الأنثى والنصّ، دار الساقي، بيروت، 2005.

3- سحر خليفة، عباد الشمس، المؤسسة العربية للدراسات، عمان، 2003.

4- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة: خطاب الأنوثة في النقد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998.

5- ليلى عبد المنعم، اللغة الأنثوية في الأدب العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1019.

6- نادية هناوي، الكتابة النسوية: دراسات في النص والهوية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2016.

7- نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، دار الآداب، بيروت، 1982.

8- نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، دار الآداب، بيروت، 1975.

9- هدى بركات، حارث المياه، دار النهار، بيروت،2002.

ثانيا: المراجع باللغة الإنكليزية

1- H. Cixous. The Laugh of the Medusa. Signs, 1(4), 875–893, (1976).
2- L. Irigaray. This Sex Which Is Not One. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985.